

سيكولوجية اللون في المشهد السينمائي الجزائري The Psychology of Color in the Algerian cinema Scene

سعيد ميمونة

جامعة سعيدة، الدكتور مولاي الطاهر، الجزائر، saidimouna60@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2019/12/31 تاريخ القبول: 2020/06/16 تاريخ النشر: 2020/12/15

ملخص:

يشكل اللون العنصر الأساسي في بناء الصورة السينمائية خاصة أن الاهتمام به إلى جانب اللونين الأساسيين الأبيض والأسود أضحى واسع النظير في حقبات متعددة، إضافة إلى عناصر أخرى تعتبر الركيزة ونقطة ثقل في بنية العمل الفيلمي نحو: الحوار واللغة والمؤثرات السمعية والبصرية وغيرها... وتعرض بواسطة مجموعة شرائط تحوي اللقطات المصورة الملونة تحمل جماليات تفسيرية وتعبيرية برموزها وإشاراتها، وتقوم على جلب رغبة المتلقي في إسترجاع ذاكرته من خلال الصور المرئية المعروضة عليه للغوص في مؤشراتها العلاماتية، وبهذا يحدث التناغم والإتساق بين الألوان والعناصر الفيلمية الأخرى.

كلمات مفتاحية: اللون، المشهد السينمائي، التأثير السيكولوجي، السينما الجزائرية، فاعلية اللون، التأثير الدرامي للون، التأثير الجمالي للون، فيلم "مصطفى بن بولعيد"، فيلم "زبانة"، فيلم "ثمن الحلم".

Abstract:

Color is the main element in in the construction of the cinematic image, especially since the interest in it along with the two main colors of black and white has become wide-ranging in multiple eras, In addition to other elements, the substrate and a point of gravity in the structure of the film work are such as: Dialogue, language, audio-visual effects, etc... Displayed by a set of strips containing colorful pictures, Which carries explanatory and expressive aesthetics with its symbols and signs, which are

based on bringing the desire of the recipient to retrieve his memory through the visual images presented to him to dive into their mark indicators, This creates harmony and consistency between colors and other film elements.

Keywords: Color; Film scene; Psychological influence; Algerian cinema; color efficacy; the dramatic effect of color; the aesthetic effect of color; the movie "Moustafa Ben Boulaid"; the movie "Zabana"; the movie "Taman El Holme".

1. مقدمة:

شهدت الساحة الفنية السينمائية الجزائرية شأنا وصدراة واسعين في مجال الفن السينمائي، كما عرفت تطورا تقنيا هاما تجدد بتجدد المسارات التاريخية الكبرى لهذه السينما، وهو ما سمح بانتقالها من اعتماد اللونين الأبيض والأسود إلى استثمار مجموع الألوان لبناء ملامحها الإبداعية والجمالية، وسهل ذلك بتحقيق النجاح المنشود الذي سعت إليه، والأهم أنها بلورت من خلال ذلك أبعادا سيكولوجية جاذبة للجمهور ومؤثرة فيه، وبناء على ذلك فإن إشكالية الدراسة تتحدد كالاتي:

ماهي العلاقة بين اللون وبين دلالاته السيكلوجية، وما هو شكل التفاعل بينهما في بنية اللقطة للمشهد السينمائي؟

وتكمن أهداف هذا البحث في:

✓ إبراز دور اللقطة اللونية في التعبير عن الحالات السيكلوجية التي يطرحها المشهد السينمائي،

✓ التطرق إلى أهمية اللقطة وفعاليتها السيكلوجية والدرامية والجمالية في المشهد السينمائي،

✓ المشاركة في عرض الجانب السيكلوجي للون في مجال الصورة السينمائية للمهتمين بالسينما،

ومن أجل التعمق في حيثيات هذه الدراسة، فقد قمت بتوضيح فاعلية اللون وتأثيره السيكلوجي في المشهد المرئي السينمائي سوء أكان تأثيرا نفسيا أو دراميا للقطة السينمائية،

ثم عرّجت بعد ذلك على إبراز التأثير السيكولوجي، الدرامي والجمالي للون في المشهد السينمائي الجزائري، من خلال لقطات سينمائية مأخوذة من بعض الأفلام الجزائرية.

2.فاعلية اللون وتأثيره السيكولوجي في المشهد الفيلمي السينمائي:

أثبتت الأبحاث والدراسات السيكولوجية أهمية اللون في المشهد المرئي السينمائي، وأصبح موضوع بحث ونقاش بين الباحثين والمخرجين في كيفية توظيفه في أعمال إجتماعية أو فنية، باعتباره حالة تمكّن الشخص من تفريغ العقد والرغبات والتنفيس عما يتقلّ قواه الباطنية، وهذا ما يؤكده "أدولف أرنهيم **Adolf Arnheim**" حيث يرى أنّ هناك " إرتباط عالي المستوى بين التعبير اللوني وتداعي المعاني والخواطر والأفكار"¹، ويمكن تقسيم فاعلية اللون في المشهد السينمائي إلى:

✓ الفاعلية السيكولوجية للمشهد السينمائية،

✓ الفاعلية الدرامية والجمالية للمشهد السينمائية.

1.2 فاعلية اللون السيكولوجية للمشهد السينمائي:

يهتم الكثير من المخرجين السينمائيين بالجانب السيكولوجي للّون وتأثيره في المشهد السينمائي سواء أكان ذلك مباشرا أو غير مباشر، بمعنى أنّ صانع اللقطة يعكس الشكل الظاهري الذي يتضمنه الموضوع، أما مضمونه فيظهر لنا تجربة البطل الشخصية وصراعاته في مواجهة الموقف التي يتعرّض له بألوان متباينة " ألوان باردة تميل إلى الإيحاء بالهدوء والسكينة وألوان حارة توحى بالعنف والعذوانية"²، وهذا وفق ما تقتضيه نظرية التداعي واسترجاع الشخصيات لماضيها في المشهد المجسد.

وتكمن فاعلية الألوان في السينما وتأثيرها السيكولوجي في الكشف والتقيب عن الثقافة الشعبية والأساطير والعادات الإجتماعية والقيم والمعتقدات الدينية، وهذا ما نلاحظه في الأفلام الهوليوودية والبوليوودية وحتى الأفلام الجزائرية التي إستمدت موضوعاتها من الحياة المعيشية الإجتماعية.

2.2 فاعلية اللون الدرامية والجمالية للمشهد السينمائي:

تكمن الأهمية الدرامية والجمالية للون في الإيحاءات الدلالية التي يحملها المشهد السينمائي، حيث أنّ الألوان الباردة ترمز إلى " الإبتعاد في الشاشة والتقلل للشخصية أو الجسم الملون، بينما الحارة توحى بالتقدم في الكادر للسيطرة على هذه المعاني فيتم تحليل كل مشهد لمعرفة المزاج النفسي والإنفعالي ومن ثم التخطيط لإستعمال اللون أو مجموعة الألوان التي توحى بذلك المزاج"³، مع تأثيره الدرامي والجمالي في نفسية المتلقي، فلكل تدرج وتناقض لوني تفسيرات وإيحاءات سيكولوجية وإجتماعية تعكس درامية الحياة عبر التدرجات اللونية المتباينة وموزعة على نطاق أوسع من الكادر والتي ترمز إلى " التعبير الروحي والعاطفي والدرامي المتماسك والمتحرك ديناميكيا والانتقال من حالة العزلة إلى حالة ربط جمل وكلمات ناطقة في ما بينها لونها لتقوم بإرساء الكلام المطلوب منها تحقيقه في العمل الفني تصويريا"⁴

3. التأثير السيكولوجي، الدرامي والجمالي للون في المشهد السينمائي الجزائري:

عرفت السينما الجزائرية منعرجا مختلف النظير خاصة عند إضافة اللون بعدما كانت تعرض باللونين الأبيض والأسود "للتعبير عن أفلام الرعب والمأساة والجريمة لإضفاء مسحة درامية تزيد من قوة تأثير الحوادث لما لهذا النوع من خصوصية يتفرد بها لصلة اللونين بإحساس الإنسان ومشاعره نتيجة المرتكسات السيكولوجية لأنه يعبر عن الخوف والحزن والرغبة"⁵.

ولعلّ " فيلم ربح الأوراس " (1966) للمخرج الجزائري محمد الأخضر حمينة " جرت أحداثه بهذا اللونين لقيمتها وقيمة الثورة الجزائرية التي عانى منها شعب بأكمله، معاناة نخرت أجساد أبناء الوطن من جور وظلم وقهر وكفاح إبان ثورة التحرير، قصة مستمدة من وقائع حقيقية مأساوية من منطقة الأوراس عاشتها " الأم كلثوم " باحثة عن ابنها من معتقل آخر حتى يتم العثور عليه، وفي مشهد تراجمي تتكهرب الأم عند السلك الشائك الذي يحيط

بمكان اعتقال ابنها وتلاقي حذفها، وجلّ المعاناة والعراقل التي واجهتها الأم كانت بسبب الإستعمار الظالم.



صورة من الفيلم الجزائري ربح الأوراس

وتعبّر هاته اللقطة عن الصراع الداخلي الذي تعيشه الأم في مواجهة الحياة القاسية جرّاء البحث عن الإبن الموجود في أحد المعسكرات، والخارجي المتمثل في مجابهتها عساكر الإستعمار، كما توحى أيضا عن " عمق الألم والحزن والظلام وإعطاء علامة مبدئية على طبيعة إدراك المتلقي لعالمه وهو واقع يحمل في طياته الجرح الذي يدل على الضياع والهزيمة ولذا فإن مثل هذا الوصف للعالم يوحي بالإحباط والشر والموت"⁶. مجسدا الحالات السيكولوجية هذه بواسطة عدسات الكاميرا والتي تكشف عنها متباينا للحقل البصري مع إيحاءها العاطفي للقطعة.

ومع تطور المعلوماتية والوسائط الرقمية، تغيّرت أيضا إمكانيات المخرجين السينمائيين الجزائريين وعوضا عن إستعمالهم اللونين الأساسيين سافا الذكر، فقد ساهموا في إضافة الألوان "لإثارة مخيلة المتلقي تحفيز واثارة مخيلة المتلقي لاستحضار صور ذهنية مضافة الى الصور المرئية لتعمق من دلالاتها ومعانيها"⁷. وألوان اللقطة السينمائية من الفيلم الجزائري "مصطفى بن بولعيد" (2008) من إنتاج وزارة المجاهدين الجزائرية تعكس ذلك.



صورة من الفيلم الجزائري مصطفى بن بولعيد

في هذه اللقطة زواج المخرج الجزائري "أحمد راشدي" بين اللونين الأخضر والبنّي، المزاوجة بين الدفاع عن الأرض حتى الموت أو الحياة، فتوظيف اللون الأخضر في خلفية الصورة دلالة على الطبيعة التي تتمثل في الغابات في مدينة الأوراس بالجزائر، مدينة الشموخ وصلابة الشعب الجزائري في مواجهة الشدائد ويرمز أيضا إلى الأمل والتفاؤل، وعمد المخرج إلى تصوير فلمه في هذه المنطقة، لأنها تمثل القاعدة العسكرية عند إندلاع الثورة الجزائرية الكبرى وعلى إثرها إستشهد الكثير من أجل تحرير البلاد، ومن بين هؤلاء "مصطفى بن بولعيد" الذي إشتهر بـ "أسد الأوراس" و "أبو الثورة الجزائرية".

ولعلّ الممثل "حسن كشاش" جسد صورة البطل الراحل "مصطفى بن بولعيد" كونه قائدا عسكريا له إتجاه سياسي أثبت تفوقه في مجابهة الاستعمار الفرنسي، كما يعتبر من بين المفكرين والقادة العسكريين والسياسيين والمخططين والمنظمين للعمليات السرية ضد العدو الظالم المستبد.

يعبّر لباس القائد العسكري الذي يرتديه الممثل "مصطفى بن بولعيد" عن المكانة والرتبة التي يحتلها في أركان الجيش الوطني، واللقطة تظهر لنا صدارته بتعابير وجه ساخطة على العدو، وكارهة له، وساخطة عليه، تعبّر عن ترتيب أو تنظيم وعن توازن الشخصية وعن النمو والتجدد في الحياة وكذلك السلام والأمن⁸، واللون الأخضر ما هو إلا رمز لذلك ودلالة على التضحيات التي قدمها "مصطفى بن بولعيد" قائد الثورة ومفجرها في

جبال الأوراس السماء، ذلكم الرجل الذي عاش للجزائر ومات في سبيلها، ذلكم الرجل الذي صنع تاريخا وبنى مجدا، إنه البطل الذي مثل قمة البطولة⁹، كما جاء توظيفه أيضا مؤشرا على البعث والجنة والحياة ومحاربة العدو والعودة والازدهار والاستمرارية.

كما نلتمس أيضا في هذه اللقطة اللون البني رمز الدّفاع عن الأرض وتربة الوطن التي دنّسها الإستعمار الطاغي، كما له دلالة سيكولوجية تعكس شخصية الممثل فهي شخصية حازمة وقوية، صبورة، تتحمل المكاره بصدر رحب، وعند إخفاقه لا يدع اليأس يؤثر على خلجاته النفسية¹⁰، كل هذا من أجل مجابهة الظروف والمعيشة القاسية التي تسبب فيها الطغاة لأبناء جلدته.

لننتقل إلى لقطة أخرى من فيلم "زبانة" (2012) للمخرج الجزائري "سعيد ولد خليفة"، فقد سيطر اللون الرمادي في هاته الزنزانة المظلمة والباردة، وتوظيفه هنا يعكس شخصية الممثل التي تعتبر "شخصية متحفظة شديدة الحذر، وتتصف بنقدها المتحفظ"¹¹، تلقت الظلم والإهانة وأنواع التعذيب وممارساته في سجن "سركاجي" من طرف الحكومة الفرنسية المنفذة لأحكام الإعدام غير الإنسانية بالمقصلة "والتي أثبت أن تسقط مرتين عليه، إلا أن هذا لم يؤثر في قرار المسؤولين.. لتسقط في المرة الثالثة لتضع حدا لحياة أول شهيد مقصلة وهو يردد أن تحيا الجزائر.. لكنها لم تضع حدا لمسيرة كفاح شعب بل أجبت في قلوب الجزائريين شعلة الحياة بحرية والمضي إلى الانتصار"¹².



صورة من الفيلم الجزائري زبانة

كما أنّ نظرتة الثاقبة والتمتعنة بلباس السجين الرمادي التي تتخللها إضاءة بيضاء في هاته اللقطة ترمز "إلى التداخل والضبابية في كل شيء"¹³، والإثارة والغموض وفقدان الثقة ومشاعر ملؤها الحزن والتشاؤم، نظرة إطمئنان لتحمل مصاعب الحياة وسوداويتها وهذا يعود للمزيج الذي يتكون منه هذا اللون.

وفي السياق نفسه، قام المخرج "الحاج رحيم" في فيلم " ثمن الحلم" بتوظيف اللون الأصفر ليكون معبراً عن الحالة النفسية المتدهورة التي آلت إليها الممثلة " فاطمة " جراء الإغتصاب وخطف الإبن وهو صغير، وحالة الخوف هذه حالة مرضية بقيت عائقا لها وحاجزا في مجابهة المجتمع والآخرين، وقد دلت صفة الإضاءة والوشاح الممزوج باللون الأصفر والبرتقالي على البؤس والتعب والألم، وكأنّ المرأة تريد البوح بكل آهاتها عن الغربة المليئة بالأحزان والعوز والحاجة والمشقة .



صورة من الفيلم الجزائري ثمن الحلم

إنّ هاته المعاناة التي تظهر من خلال تعابير وجه المرأة، جعلها تستسلم لكل الظروف، وبدل أن تكون عنصرا فعالا تمتاز بالقوة والبطش، وهنت وانهارت بسبب الضعف والمرض وظلمها من قبل أفراد لا يعرفون الرحمة والشفقة...، ولهذا جاءت اللقطة " تحت تأثير التوظيف الضوئي اللوني/ الأصفر الذي لا يوحي بالراحة والهدوء في غالب دلالته"¹⁴ وتبعث الألوان الأخرى مثل: اللون البرتقالي والأبيض والأخضر على الأمل، والنقاؤل والصفاء والتسامح، وتدل على النقاء كما تبعث على الود والمحبة، والطهارة والنقاء

والصدق¹⁵، فالحالة السيكلوجية التي مرّت بها هاته المرأة هي حالة شعورية مضطهدة، ولكن هاته الألوان تدل على أنها فترة عاشتها "فاطمة" وستزول، وسوف تتحسن أحوالها بقاء ولدها ورجوعه إليها.

4. خاتمة:

حظيت السينما الجزائرية عبر مسالكها المتباينة ومنعرجاته المختلفة إنتاجات فيلمية متنوعة أضفت على الساحة الفنية فرجة سينمائية من خلال تجارب السينمائيين الجزائريين وممارساتهم التي صنعت تلك الفرجة بإسباغ الجدية في أعمالهم الإبداعية. شهدت هذه الممارسات وخاصة في الآونة الأخيرة تغييرات في مستوياتها البنائية والإنتاجية بسبب مجموعة من العوامل. ولعلّ أهمها تأثر السينمائيين الجزائريين بالتجهيزات الفنية الحديثة والتقنيات الميديولوجية أو الوسائط الرقمية التي شغلت الكثير من المخرجين لصناعة الفرجة السينمائية الجزائرية، ومن بينها استثمار اللون في المشاهد واللقطات الذي يحيلنا إلى الغوص في البنية الدرامية التي يحملها من إحياءات لمعاني ظاهرة في الواقع لكنها عميقة عمق الفكرة المصاغة في الفيلم، والأفلام السينمائية الجزائرية من بين الأفلام التي وظفت اللون مؤثرا على سيكولوجية الممثل إثر تجسيده لمواضيع تعالج الظواهر الاجتماعية بشتى أنواعها معبرة عن الطابوهات التي تفتّت في المجتمع الجزائري، كما إتسمت هذه الأفلام بالإيحائية والرمزية شكلا ومضمونا موظفة بتقنيات فنية حديثة ومتطورة، فهل نجحت السينما الجزائرية في توظيف اللون باعتباره عنصر من أهم عناصر المشهد البصري؟ وما الضير من استخدامه كوسيط رقمي لخلق نوع جديد من الفرجة؟.

النتائج:

من بين النتائج التي توصلت إليها الدراسة هي:

- ✓ إنّ توظيف اللون في اللقطة السينمائية واستغلاله بالشكل الأفضل والأحسن قد يؤثر سيكولوجيا ويعرب عن معانيه ودلالاته الإيحائية.
- ✓ يضيف اللون صبغة جمالية وفنية درامية ورمزية للقطة في المشهد السينمائي.

✓ إسباغ الجدية والمتعة في توظيف اللون، عكست الحالة الشعورية لدى المتلقي.

✓ إنَّ توظيف اللون في الكادر يؤدي إلى التركيز في إستغلال النص اللغوي والحواري وتكثيفه في الفيلم.

✓ إعتقاد المخرجون السينمائيون الجزائريون على الألوان في بناء المشاهد الفيلمية الواقعية يؤدي إلى الدنو من نفسية المتلقي وواقعه المعيش.

✓ دور اللون في بناء وتجسيد الحالات النفسية يؤول بالضرورة إلى تطهير الفرد الجزائري من الخلجات والإضطرابات الحسية التي يعاني منها يوميا.

التوصيات:

✓ التنقيب والبحث عن العلاقة الموجودة بين اللون والتأثير الدرامي والجمالي للقطعة السينمائية.

✓ دراسة التغيرات اللونية للأحداث الدرامية للفيلم.

✓ دراسة أهمية اللون في بناء اللقطة الفيلمية سيميولوجيا.

✓ التقصي في البنية الدرامية للون.

الهوامش:

- ¹- سعيد عبد الرحمن قلج، جماليات اللون في السينما، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، 1975، ص 43
- ²- لوي دي جانتني، فهم السينما، تر: جعفر علي، بغداد، دار الرشيد، 1981، ص 49.
- ³- حسين حلمي، دراما الشاشة، ج 2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، 1989، ص 30.
- ⁴- فراس عبد الجليل الشاروط: المشاهد واللقطات المصورة بالأبيض والأسود والأبيض في سياق الفيلم الملون، جامعة القادسية، مجلة علمية تصدرها كلية التربية ، 2009، ص 16.
- ⁵- سيرجي أرزنتاين، الإحساس السينمائي، تر: سهيل جبر، بيروت، دار الفارابي، 1975، ص 141.
- ⁶- ظاهر محمد هزاع الزواهرة، اللون ودلالاته في الشعر، عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع ، ط1، 2008، ص 101.

- ⁷- مارسيل مارتن، اللغة السينمائية، تر: سعد مكاوي، المؤسسة المصرية للتأليف، مصر، 1964، ص 21.
- ⁸- حسين صالح، الإبداع تنوق الجمال، عمان، دار دجلة، الطبعة الأولى، 2008، ص 83.
- ⁹- بارور سليمان، حياة البطل الشهيد مصطفى بن بولعيد، الجزائر، دار الشهاب للنشر والتوزيع، 1988، ص 24.
- ¹⁰- ينظر، فدوى حلمي: ألوانك دليل شخصيتك، عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ط 1، 2013، ص 49.
- ¹¹- م ن، ص ن.
- ¹²- قطاف سارة: كتابة سيناريو الأفلام التاريخية من خلال عينة من الأفلام الجزائرية الثورية: "الأفيون والعصا"، "نوة"، "الخارجون عن القانون"، "زبانة". دراسة تحليلية وصفية، ماجستير، تخصص: السينما والتلفزيون ووسائل الاتصال الحديثة، أحمد بجاوي، قسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2013-2014، ص 136.
- ¹³- قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة -مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، عمان، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، 2008، ص 143.
- ¹⁴- م ن، ص ن.
- ¹⁵- ينظر، ظاهر محمد هزاع الزواهرة، م س، ص 78.

مراجع البحث:

أ- العربية:

1. بارور سليمان، حياة البطل الشهيد مصطفى بن بولعيد، الجزائر، دار الشهاب للنشر والتوزيع، 1988.
2. حسين حلمي، دراما الشاشة، ج 2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، 1989.
3. حسين صالح، الإبداع تنوق الجمال، عمان، دار دجلة، الطبعة الأولى، 2008.
4. سعيد عبد الرحمن قلج، جماليات اللون في السينما، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، 1975.

5. ظاهر محمد هزاع الزواهره، اللون ودلالاته في الشعر، عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع ، ط1، 2008.

6. فدوى حلمي: ألوانك دليل شخصيتك، عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ط 1، 2013.

7. قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة -مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، عمان، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، 2008.

ب- المترجمة:

1. سيرجي أزنشتاين، الإحساس السينمائي، تر: سهيل جبر، بيروت، دار الفارابي، 1975.

2. لوي دي جانتي، فهم السينما، تر: جعفر علي، بغداد، دار الرشيد، 1981.

3. مارسيل مارتن، اللغة السينمائية، تر: سعد مكاي، المؤسسة المصرية للتأليف، مصر، 1964.

ج- الدوريات:

أ- الرسائل

1. قطاف سارة: كتابة سيناريو الأفلام التاريخية من خلال عينة من الأفلام الجزائرية الثورية: "الأفيون والعصا"، "نوة"، "الخارجون عن القانون"، "زبانة". دراسة تحليلية وصفية .، ماجستير، تخصص :السينما والتلفزيون ووسائل الاتصال الحديثة، أحمد بجاوي، قسم علوم الإعلام والاتصال ، جامعة الجزائر، 2013- 2014.

ب-المجلات

2. فراس عبد الجليل الشاروط: المشاهد واللقطات المصورة بالأسود والأبيض في سياق الفيلم الملون، جامعة القادسية، مجلة علمية تصدرها كلية التربية، 2009.